وهو فى أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله فكنت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الىّ ، وأرت على عاتقها جرحا أجوف له غور »

وقد أحسنت السيدة نسيبة تربية ولديها حبيب وعبد الله وملأت قلبيهما إيماناً وصدرهما شجاعة وسواعدهما قوة ، وعرف رسول الله فضلهما وقدرهما ، وأحضرهما المشاهد وجعلهما سفراء ورسلا إلى من شاء من رجال العرب ورؤوس القبائل ، أرسل عبد الله إلى اليمن مع معاذ ، وأرسل حبيبا إلى مسيلمة الجبار البطاش المتنبئ كذبا فى قومه بنى حنيفة وهم من أكثر العرب عدداً وأغناهم وأقواهم بأساً . أتدرى ما صنع الكذاب بحبيب ؟ لايملك القلم أن يقصه عليك ، وبأشق الجهد أن يرويه لك ، فى الجزء الأول من أسد الغابة فى ترجمة حبيب ، أن رسول الله أرسله إلى مسيلمة الكذاب الخنى صاحب اليمامة فكان مسيلمة إذا قال تشهد أن محمدا رسول قال نعم ، فاذا قال تشهد أنى رسول الله قال لا أسمع ، فيقطع منه عضواً ، ففعل ذلك مراراً وقطعه مسيلمة عضواً عضواً ، اه

وقبض المصطفى عليه الصلاة والسلام لأجله ، وزلزل المسلمون لموته وارتدت من العرب أحياء وجموع ، وكان مسيلمة أشد الخصوم لدا وأقواهم كيداً وأكثرهم مالا وعدداً ، كاثر بقومه بنى حنيفة واعتصم بحصونه فى « اليمامة » وصمد إليه خالد بن الوليد بجيش فيه السيدة نسيبة وولدها عبد الله ، واستعصى أمر مسيلمة وكاد يهزم المسلمون ، ثم تجمع نفر من المستبسلين ، رموا بأنفسهم مسيلمة لا يبالون إلا أن يبلغوا إليه وينالوا نفسه ، وفى هذا النفر نسيبة وولدها عبدالله ، أما نسيبة فجالدت بالسيف حتى بتر ذراعها ، وأما عبد عبد الله فصمد وألح فى الهجوم على مسيلمة مستقتلا مستبسلا حتى أدركه وأغمده السيف . مات مسيلمة فماتت الفتنة بموته وتم أمر بنى حنيفة مع ابن الوليد صلحاً ؛ وعادت نسيبة إلى بلدها بساعد واحد وولد واحد ، وهى بما مضى أسعد منها بما بقى . كل إلى فناء ، وإنما الفوز والمجد أن يكون فى سبيل الحق ذهاب ماذهب منك

ونسى التاريخ نسيبة وأغمض العين عن بقية أيامها وضن أن يحدثنا بما نحب من ختام جهادها ومواطن مثواها . إلا أن مثواها الجنة ، وإن ذكرها فى الطيبات لخالد .

ابراهيم مصطفى

من مواقف العروبة

للأستاذ محمد سعيد العريان

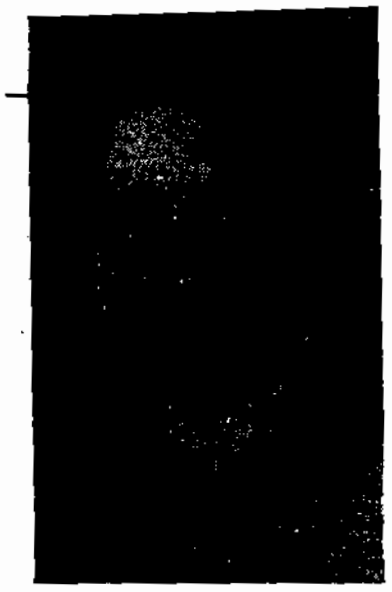

مَن ذلك الفتى الشجاع ، يختال فى العزم والقوة ، والشباب والفتوة ، حاسرا عن ذراعه ، متقدما على صحابته ، قد فرَعهم طولا ، وبهرهم تماما وحسنا ... ؟

قال أصحاب محمد : « ذلك قُرْمان المدنى ، ما نعرف فى أصحابه من يفوقه شهامة ورجولة ؛ إنه ليعين الضعيف ، وينتصر للمظلوم ، ويسرع إلى الصريخ ؛ لا تنى به عزيمته عن أمر يقصد إليه ؛ وما تعرف المدينة فى فتيانها أغْيَرَ منه على حماه ، وأبرّ منه لأهله ... ! »

قال محمد : « إنه لمن أهل النار ... ! »

واستمع المسلمون لرأى النبى فى الفتى الذى اجتمعوا على الإعجاب به والتمدّح بخلاله ، فما راجعوه الرأى ولا ناقشوه العبارة ؛ إنهم ليؤمنون بالنبى إيمانهم بكلمة الله ؛ وإنهم ليعرفون محمدا أصدقَ نظراً وأنفذ بصيرة فما تخفى عليه من أصحابه خافية . إنه ليكاد ينفذ إلى سرائرهم جميعا بعينيه الثاقبتين ، فيعرف ما تجيش به نفس كل رجل منهم . وإنهم ليعيشون من هذه المدينة فى جو من الحذر والتربص ، بين المنافقين من أتباع عبد الله ابن أبى بن سلول ، وبين اليهود من بنى قريظة والنضير ؛ فما يستوى الرأى فى واحد بينهم إلا حسبوه عينا وريئة من عيون المنافقين واليهود ؛ فمن يكون « قرمان » بين هؤلاء وأولئك ؟ وهل يدرى أحد ممن هو وإلى من ينتسب ؟ إنه لرجل يعيش فى المدينة كما يعيش أهل المدينة جميعا ، ولكن أحدا منهم لا يعرف عنه أكثر مما يرى منه ...

* * *

وتذامر المشركون من أهل مكة على قتال محمد، واجتمع إليهم من اجتمع من قبائل كنانة وأهل تهامة، يطلبون الثأر لقتلى بدر. وسار جيش الشرك فى ثلاثة آلاف مقاتل، ما منهم إلا موتور يحرص على الأخذ بالثأر ولومات دونه؛ وتطايرت رمال الصحراء تحت سنابك الخيل وأخفاف الابل، نذيرا بما سيكون فى غد بين الطائفتين؛ وسال الوادى يقذف بالزبد رجالا على الصهوات تلمع سيوفها تحت الشمس ثائرة مهتاجة؛ وتجاوبت جنبات البادية بحداء الرجال على نواصى الخيل ورنين الدفوف بين الظعائن؛ حتى أشرف الجيش على (أحُد) فتلبثوا ينظرون ما يكون من أمرهم وأمر محمد...

وخرج محمد وأصحابه سبعمائة رجل إلى لقاء الجيش عند أحُد، فما تخلّف فى المدينة إلا الصبيان والشيوخ والنساء والعجزة، وما انخزل عنه إلا المنافقون من أتباع عبد الله بن أبَىّ. وتخلّف قزمانُ فيمن تخلف بالمدينة..!

* * *

وغدا قزمان يمشى فى طرق المدينة لا يصحبه إلا ظله. أين رفاقه وصحابته؟ لقد خرجوا جميعاً إلى لقاء العدو فما تخلف منهم غيره، ففيم بقاءه ولا بقاء لمثله؟ ولكن فيم خروجه وما يؤمن بما يؤمن به صحابته؟ لقد خرجوا دفاعاً عن دينهم الذى يدينون الله عليه، وذياداً عن الحق الذى يذعنون له، بلى، وحفاظاً على الوطن العزيز أن تطأ ثراه نعالُ الغرباء...

وتحدّث قزمان إلى نفسه هُنَيّة: «ما مُقامى هنا وأصحابى هناك؟ وَىْ! وماذا تكون مقالتهم عنى وليس فى المدينة غيرى وغير هؤلاء؟»

هؤلاء كل ماهنا لك: شيخ هِمّ يمشى على عصوين، وأعمى ضرير يتوكأ على عكازته، وطفل لدُن يركب عصاه يستبق مع لداته، وعجوز عرقتها الأيام جالسة وراء الباب تنتظر ما يأتى به الركبان من أخبار الحرب، وشابة مخضوبة البنان متوارية فى الخباء وأذنها إلى الطريق تتسمّع نبأ عن زوجها الذى خرج للجهاد؛ وهذا الفتى وحده...!

وعاد قزمان يتحدث إلى نفسه: «... وماذا يكون من أمرى حين يعود أصحابى أو حين تأكلهم الحرب فلا يعودون؟ بل ماذا يكون إن كانت الهزيمة وعجز الأوسُ والخزرجُ أن تدافعا عن

المدينة؟ وما مُقامى وكيف أكون إن ظفر العدوُّ واستباح الحمى ووطئت نعاله ترابَ الوطن...؟ يالأحساب قومى، ويالعزة بلادى... ولكن...! يالله العروبة! أتغفر لى أن أقاتل فى صفوف محمد وما أنا على دينه؟»

وتوزّعته الفكرتان لا تُسْلِمانه إلى رأى فيهدأ، ثم لم يلبث أن خلع الفكرتين جميعا إلى خاطر هفَتْ له نفسه...

ومضى يحثّ الخطا إلى دار «سُلافة بنت طلحة»، يلتمس فى الأنس بها ساعة من نهار هدوء البال وراحة النفس. مُنذُ كَمْ لم يجتمع قزمانُ وسلافة تُسِر إليه ويُسر إليها؟ إن لها فى نفسه لمكانا؛ وإن له فى نفسه لحديثا يَسره أن يلقاها فيحدثها به وتحدثه؛ لقد كانت العيون بينهما حائلة، فهاهى ذى الفرصة قد أمكنته ليجلس إليها ساعة فى غفلة العيون... وطرق الباب...

— : «من؟ من يدق الباب؟».

— : «قزمان...!»

— : «وىْ...! قزمان؟ وماجاء بقزمان الساعة؟»

— : «سلافة...»

— : «حسبتكَ هناك...!»

— : «أتظنين ياسلافة؟»

— : «بل أعتقد... قزمان لا يكون هنا وقومه هناك!»

— : «ولكنى هنا من أجلك ياسلافة!»

— : «وقومُك...؟ وأهلك...؟ ودينك...؟»

— : «أنتِ قومى، وأهلى، ودينى...!»

— : «لست منك ياقزمان إن لم تكن من أهلى وقومى ودينى؛ لَخَيرٌ لى أن أفقدك فى الجهاد وأنت أحبُّ إلى...!»

— : «سلافة!»

— : «سلافةُ لقزمانَ البطلِ المجاهد ولبست لك...!»

* * *

وغادر الفتى فتاته وقد اجتمع إليهم ثالث. وسار بين البيوت مطرق الرأس، تتناوله نظرات الريبة والحدس. وسمع عجوزاً تتحدث إلى جارتها: «أما سمعت ياعاتكة؟»

— : «ماذا؟»

— : «حسيل بن جابر، وثابت بن وقش؛ إنهما من تعلمين: هل يقوى أحدهما أن يحمل نفسه من الهرم والضعف؟ لقد لحقا

اليوم برسول الله يرجوان المثوبة فى الجهاد أو الشهادة ، وما عليهما والله إن بقيا فى الآطام مع النساء والصبيان ، وما منهما إلا له إخوة أو ولد فى الحرب يكفون عنه . . ! »

قالت صاحبتها : « بلى ، قد علمت يا أختاه ! فهل جاءك أن عمرو بن الجموح لم يمنعه من الحرب أنه يمشى برجل واحدة ، وأن له بنين أربعة مثل الأسد يشهدون المواقع مع رسول الله؟ »

وسمع الرجل ما تتحدث به المرأتان ، فكأنما كانتا ترجمانه بالخبر فما يستطيع أن يتماسك مما ينهال عليه . واستمر يمشى وكأنما تستعر الحرب فى رأسه لا فى الميدان البعيد

ومرت به «نسيبة بنت كعب» ، تحمل سقاء فيه ماء ، فاستوقفها يسألها عن خبرها فما أجابت نداءه ؛ لقد كانت فى طريقها إلى أحد ، لتقوم بما تقدر عليه فى صفوف المجاهدين . . !

وعاد قزمان يتحدث إلى نفسه : « ويلى ! ما أنا هنا والحرب هناك ؟ وما يكون من أمرى غدا على الحالين : فى النصر والهزيمة ؟ أفراراً من الموت ؟ أنكوصا عن الواجب ؟ أكفراً بالوطن والأهل والعشيرة ؟ ألا إنه يومك يا قزمان ، فليجاهدوا هم فى سبيلهم ، وليكن جهادى معهم لأجل الوطن . . . ! »

* * *

وترامت السهام ، وبرقت الأسنة ، والتقت السيوف ، وابتدأت المعركة بين الجيشين وقزمانُ غير بعيد ؛ لقد أدرك الجيشَ ولما يبدأ النضال ، فما فاته أن يشهد المعركة من البداية

مَن ذلك الفتى الشعشاع ، يختال فى العزم والقوة ، والشباب والفتوة ، حاسراً عن ذراعه والسيف فى يده ، يحتز الرءوس ، ويقطع الأوداج ، ويلقى الرعب فى قلوب الأعداء ؟

إنه قزمان نفسه ؛ لقد قاتل فى ذلك اليوم قتالا شديداً ، وأبلى بلاء حسناً ، فما وضع السيف حتى أثخنته الجراحة .

والتف المسلمون حول قزمان يخففون عنه ما ناله من أذى القتال ، وما منهم إلا معجب بصبره وقوة بلائه ، فهم يقولون : « والله لقد أبليت اليوم ياقزمان فأبشر ! » قال : « بماذا أبشر ! فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ماقاتلت . . . »

ونظر المسلمون بعضهم إلى بعض ثم انفضوا . . .

« إنه لمن أهل النار ! » هكذا كان يقول عنه محمد . صدق رسول الله !

ونظر قزمان إلى نفسه ، فاذا هو يتلاشى نفسا فى نفس ، وذكر صنيعه فى ذلك اليوم ، فعادت إليه الفكرتان الأوليان تصطرعان فى نفسه ، لا تسلمانه إلى رأى فيهدأ . أى الخطتين كانت أهدى سبيلا : أن يدع هذا الدين تمزقه أعداؤه وتمزق معه أهله وعشيرته شرَّ ممزَّق ، أو يقاتلَ فى صفوف قومه دفاعاً عن أحسابهم ؟

أما إنه لا سبيل إلى مافات . لقد أدى واجبه لوطنه ، ولكن ... ولكنه غير مستريح إلى ما كان منه ...

ونزَتْ به نازية ، فلم يجد لنفسه خلاصا من عذاب الفكر إلا بالموت ، فاتكأ على سيفه فأزهق نفسه ... !

يالله ! لقد نفذت إلى نفسه بارقة من شعاع هدَتْه سبيلَ الوطنية ، ولكن قلبه ظل فى ظلمات من الضلال والشرك .

لو عرف ذلك الدينَ الذى جاهد له يومَه الأخير ، لأشرقت له الدنيا كلها ، وانبثق الصبح فى قلبه ، ولمات يوم مات تشيِّعه الملائكة وتهزج له أناشيد الخلود !

ليته عرف ! ولكن ، حسبه أنه كان مثالا فى الوطنية . ليت كثيراً يعرفونه . . . !

(شبرا) محمد سعيد العريان

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

الطبعة الرابعة

ترجمها : احمد حسن الزيات

وهى قصة عالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

وثمنها ١٥ قرشا